■ الجبهة الشعبية

المقدمة

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

شهدت الساحة السياسية الفلسطينية ، فى المرحلة التى سبقت قيام منظمة التحرير الفلسطينية تطلعات لإعادة صياغة الهوية الفلسطينية ، فى إطار نضالي، يتيح للشعب الفلسطيني القيام بدوره السياسي والعسكري ، على طريق تحرير وطنه، وتولي الشعب الفلسطيني زمام المبادرة فى شئون قضيته، عسكرياً وسياسياً.

وقد تجسدت هذه التطلعات بالفعل، عبر إرادة ونشاط مجموعات من الشباب الفلسطيني فى تنظيمات، كان لبعضها طابع فلسطيني محض، كما فى حركة «فتح»، وكان لبعضها الآخر طابع الانبثاق من إطار قومي عربي، كما حدث فى «حركة القوميين العرب»، وانبثاق «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» عنها، ولم تخلُ الساحة ، الفلسطينية أيضاً ، من تنظيمات أخرى ، أصغر حجماً ، وأقل تأثيراً فى مسيرة الشعب الفلسطيني النضالية.

وتعد «الجبهة الشعبية» تراثاً كفاحياً، تمثل فى الإرهاصات التى كانت قائمة قبل عام ١٩٦٧، وبالتحديد منذ عام ١٩٦٤، حيث ارتبطت انطلاقة الجبهة الشعبية بحركة القوميين العرب ، وتنظيمها الفلسطيني، وتجربتها النضالية منذ نكبة ١٩٤٨، وبالدروس التى اكتسبتها من تلك التجربة التى قادت -منذ بداية الستينيات- إلى الإعداد لبدء الكفاح المسلح، وممارسة النشاط العسكري.

وقد تعرضت هذه الدراسة لموضوع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين دراسة تاريخية تحليلية من عام ١٩٦٧ - الذى يمثل انطلاقة الجبهة الشعبية - إلى عام ١٩٨٧ الذى يمثل بداية الانتفاضة الفلسطينية الأولي وانعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني « التوحيدي » فى الجزائر، فضلاً عن كونه العام الذى حُلت فيه جبهة الإنقاذ الوطني، التى كانت الشعبية أحد أهم مرتكزاتها. وترجع أهمية هذه الدراسة إلى دور الجبهة الشعبية وتأثيرها فى الساحة الفلسطينية، حيث تعتبر التنظيم

الفلسطيني الأول الذى تبنى الماركسية اللينينية، والذى مارس الكفاح المسلح فى الثورة الفلسطينية المعاصرة، الأمر الذى أعطاها مكانة مميزة فى الساحة الفلسطينية بوجه خاص وفى الساحتين العربية والدولية بوجه عام. كذلك لما لهذا التنظيم من مواقف ونضالات، حيث لعب -ولا يزال- دوراً رئيساً ومميزاً فى مسيرة الشعب الفلسطيني، ممثلة بثورته المعاصرة المنضوية فى إطار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. والذى يجسد فى الوقت نفسه الهوية الوطنية لهذا الشعب المناضل.

وقد استفادت هذه الدراسة كثيراً من وثائق الجبهة الشعبية التى حصل عليها الباحث من أرشيف الجبهة الشعبية فى قطاع غزة، وما حصل عليه من وثائق وإصدارات للجبهة فى لبنان وسورياً، بواسطة أعضاء وقيادات من الجبهة الشعبية والحركة الوطنية الفلسطينية، كما كان لمجلة الهدف الناطقة باسم « الجبهة الشعبية دور فى إثراء الدراسة؛ نظراً لمعالجتها قضاياً الثورة الفلسطينية، وقضاياً ومواقف الجبهة الشعبية على امتداد معظم سنوات الدراسة.

وفى ظل فقدان العديد من الوثائق استطاع الباحث الحصول على معظم ما توفر من وثائق داخلية السرية منها والعلنية ومن خلال مقابلات ميدانية مطولة، لتسد تلك الثغرة نسبياً.

كما اعتمدت الدراسة على الوثائق العربية، والوثائق الفلسطينية العربية، واليوميات الفلسطينية، والكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، ووثائق الحركة الوطنية الفلسطينية وما كانت تصدره الجبهة والقوى الفلسطينية، من منشورات وبيانات، كما استعان الباحث بالكثير من المراجع العربية، والأجنبية، والمترجمة.

ومع أهمية هذه الدراسة، إلا أن البحث لم يكن سهلاً، ولم يكن التنقيب يسيراً،

بل تحمل الباحث الصعاب والمشاق طوال فترة الدراسة، حيث أنجز معظم هذه الدراسة فى قطاع غزة، الذى يمر حالياً بأسوأ ظروف الحصار، كما أن القادة الأساسيين للجبهة لم ينشروا – للأسف – مذكراتهم وشهاداتهم بعد، كما أن بعض القادة لم يزل إلى اليوم يتحدث بحذر، وبنوع من التحفظ، وربما يعكس ذلك طبيعة التكوين الحذر للكادر الأساسي فى الجبهة أكثر ما يعكس تهرباً من الحقيقة، وصادف الباحث مشكلة عدم دراية كوادر الجبهة ببعض القضايا المتعلقة بالبحث، لكون نشاطهم يرتبط بزاويا محدودة فى العمل داخل التنظيم.

كذلك امتناع بعض القيادات فى الجبهة عن تقديم وثائق، أو إرسال ردود على مراسلات خاصة بالدراسة، «حفاظاً على التقاليد والمعلومات السرية».

وقد حرص الباحث على تناول موضوعات الدراسة فى سياق تاريخي متسلسل زمنياً ضمن التقسيم الموضوعي لخطة الدراسة، مع مراعاة تحري الدقة والموضوعية فى جمع المادة العلمية ما أمكن ذلك.

وقد احتوت الدراسة على فصول ستة، يسبقها فصل تمهيدي ومقدمة، ويعقبها خاتمة.

كان الفصل التمهيدي بعنوان: جذور الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تم الحديث من خلاله لحركة القوميين العرب.

أما الفصل الأول فكان بعنوان : نشأة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تم من خلاله التطرق لهزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧ وأثرها على الواقع العربى، وعلى فصائل العمل الوطني الفلسطيني، والتعرض للقوى التنظيمية الفلسطينية التى تألفت منها الجبهة، مثل: منظمة أبطال العودة، ومنظمة شباب الثأر، وجبهة التحرير الفلسطينية، كما تناول الكادر الأساسي للجبهة الشعبية والسيرة الذاتية

لبعض المؤسسين المؤثرين فى مسيرة الجبهة أمثال: جورج حبش، ووديع حداد، وغسان كنفاني، وأبو على مصطفي، بالإضافة للانشقاقات التى تعرضت لها الجبهة الشعبية، وكان أولها خروج جبهة التحرير الفلسطينية، والتى اتخذت اسم الجبهة الشعبية – القيادة العامة (أحمد جبريل) أما الانشقاق الثانى، فكان انشقاق التيار اليساري بقيادة نايف حواتمة وتشكيل الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، ولاحقاً اتخذ اسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطينية، ثم الانشقاق الثالث باسم الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين، الذى قاده أحمد الفرحان(أبو شهاب) وهو عراقي الجنسية.

أما الفصل الثانى فكان بعنوان: البنية التنظيمية للجبهة الشعبية، حيث تناول هذا الفصل النظام الداخلي للجبهة، باعتباره الدعامة الأساسية لأي تنظيم يستهدف بناء عضو الحزب، وكذلك الهيكل التنظيمي للجبهة، من خلال الهيئات المركزية التى شملت: المؤتمر الوطني واللجنة المركزية العامة، والتى تعد بمثابة هيئة الأركان للجبهة على الصعد النظرية، والسياسية، والتنظيمية، كما تم التعرض للمكتب السياسي، وهو الهيئة الحزبية التى تتولي مسئولية الحزب وقيادته والهيئات القيادية للفروع فى الجبهة، بالإضافة إلى مصادر تمويل الجبهة، سواء كان ذلك محلياً، أو عربياً، أو دولياً.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان: الأسس الفكرية للجبهة الشعبية، حيث تعرضنا من خلاله للمرتكزات السياسية للجبهة الشعبية، والنظرية العسكرية، وتقسيم الجبهة لخطها العسكري إلى ثلاثة أقسام: قسم الأرض المحتلة، وقسم خارجها من خلال الدول العربية، وآخر دولى خارج نطاق الدول العربية، كما تعرض هذا الفصل للانتشار الجغرافي لمقاتلي الجبهة، وتدريبهم، وتسليحهم، كما تم الحديث

كذلك عن العمل النقابي والجماهيري، والمؤسسات الاجتماعية والمنظمات الشعبية، فضلاً عن الحديث عن إعلام الجبهة، الذى مّثل دوراً مهماً فى إدارة الصراع، من خلال الصحف اليومية، والأسبوعية، والشهرية، والنشرات الداخلية، والبيانات السياسية، والبلاغات العسكرية، والملصقات، والأفلام السينمائية، والمهرجانات.

أما الفصل الرابع فكان بعنوان: العمل السياسي للجبهة الشعبية، حيث تناول علاقة الجبهة بمنظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك موقف الجبهة من المشاريع والمبادرات السلمية، مثل: مشروع روجرز، ومشروع المملكة العربية المتحدة، والاتفاقيات المصرية الإسرائيلية، وكذلك المبادرة الأوروبية وبيان البندقية، ومبادرة الرئيس السوفييتي ليونيد بريجينيف، ومشروع الأمير فهد، ومبادرة ريغان.

وتناول الفصل الخامس: العمل العسكري للجبهة الشعبية، حيث تعرض للحديث عن العمل العسكري داخل فلسطين المحتلة، والعمليات النوعية التى أرهقت الاحتلال، إذ اتخذ العمل العسكري أبعاداً جديدة مع تشكيل الجبهة الشعبية فى ديسمبر ١٩٦٧، كما تناول هذا الفصل العمليات الخارجية التى اشتهرت بها الجبهة، خاصة عمليات خطف الطائرات، ونقل المعركة مع إسرائيل إلى المسرح الدولي تحت شعار (ضرب العدو أينما كان) ، بالإضافة إلى الحديث عن موقف الفصائل الفلسطينية من العمليات الخارجية، وتأثيرها على القضية الفلسطينية، وردود الفعل العالمية إزاء هذه العمليات.

أما الفصل السادس والأخير: فكان بعنوان العلاقات الخارجية للجبهة، تم التطرق من خلاله للعلاقات على المستويين العربي والعالمي، حيث تم التعرّض للعلاقات على المستوى العربي وتأثيرها الواضح على القضية الفلسطينية، وهى علاقات كانت بين شد وجذب، وصراع وتحالف، نظراً لمواقف هذه الدول المتباينة

من بعض القضايا السياسية التى تتعلق بالقضية الفلسطينية. كما تناول هذا الفصل الحديث عن بعض النماذج المهمة لعلاقات الجبهة على المستوى الدولي، كالعلاقة مع الصين، والاتحاد السوفييتي، والمنظومة الاشتراكية، إلى جانب علاقاتها مع بعض حركات التحرر فى العالم.

ثم كانت خاتمة الدراسة والتى اشتملت على أهم النتائج ، وذيلت الدراسة، بالملاحق وقائمة للمصادر والمراجع.

وفى الختام فقد قدر لهذه الدراسة رعاية كريمة، وإشراف متميز من العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ محمد صابر عرب، الذى كان لي شرف التتلمذ على يديه فى مرحلة الدبلوم والماجستير، أفدت فيها كثيراً من علمه الوافر، وما لمسته من كريم خلقه وسجاياه، حيث شمل هذه الدراسة برعايته الكريمة، وعونه الصادق، وسعة صدره، مجسداً فى ذلك أنبل معاني الإنسانية والتواضع، فكان أستاذاً عالماً سخياً فى خلقه وعلمه، قدم التوجيهات الرشيدة، والآراء السديدة، مقوضاً بذلك ما اعترض طريق البحث من عقبات وصعوبات، فالله أسأل أن يمتعه بموفور الصحة والعافية، وأن يجزيه عنى وعن أبنائه الطلبة الجزاء الأوفى.

كما قدر لمناقشة هذه الدراسة والحكم عليها لجنة موقرة تضم عالمين جليلين، الأستاذ الدكتور/ السيد على فليفل، والأستاذ الدكتور/ أحمد زكريا الشِّلق، نفعني الله بعلمهما بما يقدمانه من ملاحظات وتوجيهات تسهم فى إثراء هذه الدراسة، وتطويرها، والوصول بها إلى وجه أفضل.

والشكر واجب لمدير معهد البحوث والدراسات العربية الأستاذ الدكتور/ أحمد يوسف أحمد لجهوده الصادقة، ومساهماته الوافرة، التى تمهد للباحثين سبيلهم، وتنير أمامهم الطريق، وتذلل لهم الصعاب.

كما لا يفوتنى أن استذكر عالما جليلاً، وأباً رحيماً، له علي من الأيادي ما تعجز الكلمات عن التعبير عنها، الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرؤوف سليم. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى المفكر الفلسطيني الأستاذ/ عبد القادر ياسين الذى سخر مكتبته الخاصة لخدمة الباحث، فضلاً عن توفير العديد من الوثائق التى أفادت الدراسة.

وختاماً أتقدم بعظيم الشكر والتقدير للذين أجريت معهم المقابلات من الأخوة قيادات الجبهة الشعبية، والحركة الوطنية الفلسطينية، لحسن استجابتهم وتعاونهم المثمر مع الباحث.

وأخيراً فإن هذه الدراسة شأنها شأن أى عمل إنساني قد يكون فيه إجادة، وقد يعتريه القصور، فإن كانت الأولى فالفضل لله سبحانه وتوفيقه، ثم لأستاذي الفاضل، وإن كان ثمة قصور فحسبي أني اجتهدت، والحمد لله الذى تفرد لنفسه بالكمال، وجعل النقص سمة تستولى على جملة البشر.

«وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

سامي يوسف أحمد

غزة في مارس/ ٢٠١٠